أصحابُ الإمام محمّد ناصر الدين الألباني الأوائل

٢٥- محمود بن إبراهيم الصمادي

(الرحَّالة الكُتُبي المجاهد)

- **الاسم والنسبة:**

أبو سَميح، محمود بن إبراهيم بن خليل بن إبراهيم بن حسين بن جودة الصمادي اللوباني، الطبراني الفلسطيني.

- **مولده وأسرته:**

ولد في (٣ نيسان ١٩٢٨م)، في «لُوْبيَة»، وهي من أكبر قرى قضاء طبرية بفلسطين، وكانت عامرة قبل سنة ١٩٤٨م، ثم قام المحتلون بتهجير أهلها بعد مقاومة شديدة، ثم هدموا القرية على من بقي فيها، وأقاموا مكانها مستعمرَتَي «لافي»، و«جيفعات آفيني».

وكان والده جنديًّا في الجيش العثماني، ويحفظ القرآن والكثيرَ من الشعر، وأُسِر والده في الحرب العامة الأولى التي بدأت سنة ١٩١٤م، ثم أفرج عنه بعد سنتين عام ١٩١٨م، وجدَّته الكبرى هي ابنة الوجيه مسعود الماضي حاكم حيفا وغزة، وجده لأمه قاسم العيساوي آل غبن من وجهاء قرية «ترعان».

تزوج الشيخ محمود بزوجتين من قريته، وقد توفيت زوجته الأولى (جميلة حسين اللبابيدي) بدمشق عام ١٩٧٣م، على إثر حادث جرى لها في طريق عودتها من الحج، فتزوج بعد أشهر بزوجته الثانية (فاطمة علي حسن)، وأعقَب منها ٦ ذكور و٨ بنات، وجميع الذكور حصّلوا شهادات جامعية، وجلُّهم من المدرسين، ولعل أشهرهم هو: الأستاذ خليل، وهو خريج جامعة دمشق، ويكتب في الصحف السعودية، ويعمل مدرسًا في الرياض، وله عدد من المؤلفات. وللشيخ أبي سميح من الأحفاد وأبنائهم أكثر من ٢٥٠ حفيدًا يعيشون في بلدان شتى عربية وأجنبية، وابنته سميحة تقيم مع أسرتها في فلسطين.

- **نشأته وجهاده:**

درس الشيخ محمود القرآن ومبادئ العربية عند الشيخ علي بن صالح الشهابي، إمام جامع ابن الماضي في «لوبية»، ودرس الابتدائية في مدرسة (أبو غازي) في قريته، وكان من شيوخ التعليم فيها الشيخ مصطفى العنبتاوي، وأُولع محمود منذ طفولته في فلسطين باقتناء الكتب، فكان يسافر إلى حيفا ويافا لشراء «الهلال» لجرجي زيدان، و«الرسالة» للزيات و«الثقافة» لأحمد أمين، ويقرؤها على غلمان قريته.

وهاجر من قريته لوبية في تموز سنة ١٩٤٨م، وعمره عشرون سنة، بعد أن شارك مع أبناء فلسطين في معارك الجهاد والمقاومة في فلسطين ضد اليهود، وحضر معارك الجليل وطبرية، وصفَد، والشجرة، ولوبية، وجرح في «معركة معلول» قضاء الناصرة بقيادة المجاهد أبي إبراهيم الصغير، فنُقل إلى مستشفى الناصرة ثم إلى بيروت، ثم إلى مستشفى المزة العسكري بدمشق، وبعد أن تماثل للشفاء رجع للجهاد في فلسطين، وعندما انتهت المعارك، طفق يبحث عن أسرته، فعَلِم أنها هاجرت إلى لبنان، ثم بعد البحث المضني وجد زوجته وابنته في أحد مخيمات بعلبك، وكانت زوجته قد وَلَدت له ابنه (سميح) وذلك في أواخر عام ١٩٤٨م، ولم يطب له المقام هناك، فارتحل بأسرته إلى دمشق، ونزلوا في «جامع الخليلي» قرب سوق الهال وسط دمشق، ومكثوا فيه مع بعض العائلات حتى سنة ١٩٥٣م، ثم انتقل إلى جوبر وغيرها، إلى أن استقر به المقام في مخيم اليرموك جنوبي دمشق.

وفي صيف عام ١٩٦٨ و ١٩٦٩م ساهم في المقاومة الفلسطينية، وشارك في بعض المعارك في غور الأردن، وكان يغيب أكثر من شهر في العام، ثم يعود إلى عمله بدمشق عند افتتاح المدارس، وشارك مع المجاهدين في القتال، وكان يعلِّمُهم العقيدة والصلاة، ثم ترك العمل معهم بسبب الفساد والفتن.

- **دراسته وشيوخه:**

لازم الشيخ محمود في أول وصوله إلى دمشق جماعة من علمائها؛ منهم محدثها العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وتأثر بمنهجه العلمي، وحضر دروس علامة الشام محمد بهجة البيطار، وقرأ على المحقق أحمد محمد دهمان، وانتفع به في فن تحقيق التراث، وكان يحضر دورس وخطب العلامة المحدث عبد القادر الأرناؤوط، وغيرهم من علماء دمشق. وكان له صداقة مع عدد من أفاضل الشيوخ؛ أمثال سعيد البستاني، وعلي خشان، ومنير الألباني.

- **رحلاته:**

حُبِّب إلى الشيخ محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرحلة والسفر منذ نعومة أظفاره، فزار القدس وبيت لحم وأغلب قرى فلسطين، ثم حاول السفر إلى مصر ووصل الحدود، وزار شرقي الأردن، وهو في كل هذه الرحلات يسافر وحده ومشيًا على الأقدام، ولما يبلغ السادسة عشرة!!

وبعد استقراره بدمشق سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج للمرة الأولى عام ١٩٥٨م بحرًا عن طريق اللاذقية ثم بورسعيد بمصر، ثم إلى جدّة، واستغرقت هذه الرحلة شهرين، التقى خلالها بأئمة الحرمين الشريفين، وبالشيخ يوسف عبد العزيز النافع المراقب في هيئة الحرم، وبالشيخ محمد نَصيف وجيه جدّة، الذي حمّله كتبًا قيمة للشيخين بهجة البيطار وزهير الشاويش، ونزل في ضيافة الشيخ يوسف ياسين وهو سوري لاذقي كان يعمل مستشارًا للملك عبد العزيز، ثم حج مرة ثانية في آخر عام ١٩٧٢م بالحافلة، ثم مرة ثالثة عام ٢٠٠٢م، وسافر الشيخ محمود إلى كثير من البلاد؛ كلبنان، والأردن، والسعودية، ومصر، وإيران، وتركيا، وكان أعرف ببعض هذه البلاد من بعض أهلها، كما زار القدس وفلسطين بعد هجرته منها أكثر من مرة.

والتقى الشيخ محمود في دمشق وفلسطين وغيرهما بعدد كبير من رجالات العلم والسياسة والجهاد؛ منهم: الحاج أمين الحُسَيني، والشيخ أبو الحسن النَّدوي ولازمَه سنة كاملة بدمشق ١٩٥١م، وهو الذي عرَّفه بعلماء دمشق أول وصوله إليها، وذكره الندوي في كتابه «مذكرات سائح في الشرق العربي» في أكثر من موضع.

- **أعماله ودعوته:**

عمل في صباه في ورشةٍ لإصلاح الطرق في منطقة «مسحة» قرب «الشجرة» بمحاذاة جبل طابور، وفي سنة ١٩٤٣م تطوّع في الشرطة الفلسطينية؛ في حيفا، بمعسكر « دي آي دي» وبقي فيه حتى قبيل نهاية الاحتلال الإنكليزي حيث سرّحوه من عمله، ثم انضم إلى صفوف المجاهدين في فلسطين في شباط ١٩٤٨م.

وعمل بعد هجرته إلى دمشق في أول الأمر ببعض المهن الحرة، ثم بعد أن مَنحت الدولة السورية الفلسطينيين حق المواطن السوري، عمل موظَّفًا في وزارة التربية؛ كمحضّر مختبرات في دار المعلمين بدمشق، فتعرف خلال عمله على كثيرٍ من المعلمين والطلاب، واستمر في هذا العمل حتى تقاعد منه سنة ١٩٧٨م، وكان في سنة ١٩٦٩م قد افتتح دكانًا له بشارع لُوبية في مخيم اليرموك جنوبي دمشق، يبيع فيها الكتب ويؤجرها للقرَّاء وطلبة العلم، وربما أعارها بغير مقابل، وسماها: «مكتبة الطلاب الحديثة» وهي أول مكتبةٍ لبيع

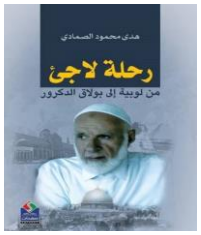

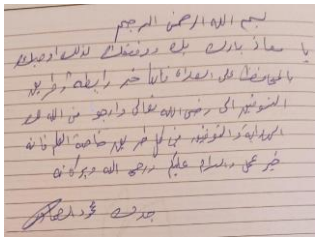

الكتب وتأجيرها في المخيم، وعكف في هذه المكتبة على القراءة والتأليف وإفادة الطلبة ونُصحِ العامة وإرشادهم في حيِّه والأحياء المجاورة، وكان له درس في «سيرة ابن هشام» في داريا في الغوطة الغربية، يحضره لفيف من الشباب المثقف، ومن الطريف أنه كان يذهب إليها على الدراجة الهوائية مسافة ١٠ كيلا، وربما اصطحب معه بعض أبنائه، وهو قد بلغ الخامسة والسبعين من العمر، وكانت له عادة لا يتركها وهي المشي يوميًّا بعد صلاة الفجر، ثم يجلس للمطالعة في الكتب.

وكانت في بيته مكتبة زاخرة بمختلف الفنون المعرفية، وبنوادر الكتب والمراجع، وخاصة في التاريخ والتراجم، وعلى الأخص تاريخ فلسطين والعثمانيين، وكان يحتفظ بنسخٍ نادرة لبعض الطبعات القديمة التي قد لا توجد في بعض المكتبات العامة، وكانت مكتبتُه مقصدًا لطلبة العلم والباحثين، ثم بعد أحداث الشام الأخيرة تبرع ببعضها، ونُقل بعضها إلى مكان آخر، واحترق كثيرٌ منها، والله المستعان.

وشارك في عدة محاضرات وندوات في المخيم ودمشق وبعض البلاد العربية والإسلامية.

وكان له نشاط في كثير من المناسبات الاجتماعية، ورأس لجنة بناء «جامع الرجولة» في مخيم اليرموك عام ١٩٦١م، وأَمّ المصلين فيه وخطب الجمعة سنوات عديدة، وأسس ورأس الجمعية الخيرية الفلسطينية في المخيم عام ١٩٦٦م، وهو عضو في اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بدمشق منذ عام ١٩٩٢م، وحضر بعض أنشطته في التاريخ والتراث، واستضافه التلفزيون السوري في عدد من برامجه للحديث عن نكبة فلسطين.

وعُرض على الشيخ محمود تأجير دكانه بمبلغٍ يفوق أضعاف دَخْلِه، فرفَض، وبقي فيها يبيع الكتب والقرطاسية حتى عام ٢٠٠٠م، ثم سلَّمها لأحد أبنائه، واشترطَ عليه أن تبقى مكتبةً، وتفرَّغ في منزله للقراءة والتأليف وإفادة الطلبة، ثم صارت هذه المكتبة أطلالاً.

- **مؤلفاته:**

تفرغ الشيخ أبو سميح للرواية أكثر من الكتابة، وله: «تخريج أحاديث تفسير الجلالين- ط»، وتحقيق كتاب «نشوة السكران في صهباء الغزلان» لصديق حسن خان، وله سلسلة عن عظماء الإسلام؛ ترجم فيها لأكثر من ثلاثين رجلاً من الصحابة والتابعين والعلماء، وبعض أبطال النهضة العربية كعبد القادر الحسيني، ويوسف العظمة.

- **أقوال العلماء فيه:**

ترجم للشيخ محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددٌ من الكُتَّاب الفلسطينيين وغيرهم، **ومنهم تلميذه الأستاذ محمد بن محمد حسن شراب** في «معجم العشائر الفلسطينية» فقال: «الصمادية (لوبية) شيخ الصمادية في لوبية أبو سميح محمود إبراهيم الصمادي، الشيخ الحافظ الرحالة وعاء العلم، ومعجم تراجم الرجال.

لو قَيَّد ما يعرف وما رأى من الأماكن والبلدان والبقاع في العالم العربي ـ وبخاصة بلاد الشام ـ لكان معجمًا للبلدان يقارب معجم ياقوت الحموي، ويستدرك عليه.

ولو صنف كتابًا في تراجم رجال العالمين العربي والإسلامي، لكان عندنا معجم أعلام يستدرك على معجم الزركلي.

هو دائرة معارف في تراجم الرجال القدماء والمعاصرين وفي أحداث فلسطين ورجالاتها وأحداثها وثوراتها، وفي الفقه الإسلامي وأسباب نزول القرآن وتفسيره، وفي السيرة النبوية وأعلام الصحابة والتابعين، والملل والنحل الإسلامية والمسيحية واليهودية، والكتب القديمة والحديثة، وقيمة مضموناتها. انتهى

كما ترجم له تلميذه الأستاذ محمد عمر حمادة حفيد المجاهد القسامي حسين حمادة في كتاب «أعلام فلسطين» ترجمة وافية، تحدث فيها عن نشأته وجهاده ورحلاته، وثقافته وأخلاقه وكرمه، وذكر أنه استفاد منه في أسماء بعض الأعلام الفلسطينيين.

ونشرت ابنته هدى الصمادي كتابًا مفردًا عن سيرة والدها بعنوان: «رحلة لاجئ من لوبية إلى بولاق الدكرور»، وشاركها في إخراجه عدد من أولاد الشيخ.

وقال تلميذه الشيخ فايز الصلاح: لقد صحبتُ الشيخ أبا سميح أكثر من ٢٠ سنة، وكنت أزوره في بيته ومكتبته، واستفدتُ منه في بداية حياتي فائدة كبيرة من النصائح العلمية والمنهجية، وهو واسع الثقافة والاطلاع على الكتب، كثير الحفظ، ومهتم بالتاريخ، وعنده مكتبة ضخمة في بيته، كنت أستعير منها ما أحتاجه من الكتب والمجلات، وله من كنيته كل النصيب، فهو أبو سميح وهو سمح سهل.

وقد نعاه ورثاه جماعة من الفضلاء؛ منهم: د.حسين عمر حمادة عضو اتحاد الكتاب العرب، د.بسام كايد رئيس رابطة العلماء الفلسطينيين في لبنان، أ.أيمن ذو الغنى، وغيرهم

- **صحبته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

تعرف الشيخ محمود على العلامة الألباني في أول وصوله إلى سورية لاجئًا سنة ١٩٤٩م، وهو من السبعة الأوائل الذين كانوا يحضرون دروس الشيخ ناصر، وبعد شروع الشيخ الألباني في كتابة مؤلفه القيم: «صفة صلاة النبي ﷺ»عام ١٩٥٢م، وانتهائه منه، قرأه عليه الشيخ محمود وهو مخطوط قبل أن يُطبع، وبعد طبعه ١٣٨١- ١٩٦١م طلب الشيخ ناصر من الشيخ محمود أن يُعينه في توزيعه وبيعه وإهدائه.

وذكر الشيخ محمود في «ذكرياته» أنه بعد انتقال الشيخ الألباني إلى سكَنه الجديد في مخيم اليرموك، بالقرب من بيت الشيخ محمود، كان الشيخ الألباني بعد عصر كل ثلاثاء يعقد على سطح بيته الكبير درسًا لمحبيه من الرجال والنساء، يقصدونه من المخيم ومن دمشق وريفها يجلس الرجال على حُصُر في المقدمة، ثم النساء في المؤخرة دون فاصل أو حاجز، وأغلب الرجال من المناطق القريبة من المخيم، كانوا يحضرون على الدراجات.

ثم انتقل إلى «حي المهاجرين»، وانتظمت دروسُنا معه بالشهر مرتين، نتدارس في علوم الحديث، وكتب العقيدة، والفقه، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها وفقهها، وفي صحيح الترمذي وضعيفه. كذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم قال: غادرالشيخ ناصر دمشق متجهًا إلى السعودية ليعمل محاضرًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكنت كلما قصدت الحج أو العمرة ،ألتقيه وأستعيد أيام الدكان والمهاجرين، وكم كان يُسَرُّ بلقائنا العابر.

وأذكر أنه كان يأتي إلى دكانه في العمارة على الدراجة، ثم تحسنت أحواله المادية فاشترى سيارة «فيات-FIAT» طحينية اللون، وأذكر مرة في أوائل سبعينات القرن الماضي ذهبت وإياه إلى حوران وتحديدًا لقرية «إنخل»، وحضرنا عرسًا لأحد تلاميذه، وهو محمد ناصر، والعروس خولة درويش فلسطينية من قرية الشجرة ومن سكان مخيم العائدين في حمص، وكان عرسًا إسلاميًّا كريمًا.

وكنت ألازمه كثيرًا، حتَّى إن أحد تلاميذه قال لي: يا محمود احفظ عن الشيخ لعلك تخلُفه في علمه، لكن عندما توفيت زوجتي اهتممت بالعائلة الجديدة، وكنت أتولى شؤون «مسجد الرجولة» في حيّنا بالمخيم، فانقطعت عن الشيخ لظروفي، حتى سافر إلى عمان.

- **هجرته الثانية ووفاته:**

بعد الأحداث الأخيرة التي جرت في سورية سنة ١٤٣٢، بقي الشيخ محمود في بيته بالمخيم صابرًا محتسبًا، ثم اضطر في أواسط سنة ٢٠١٣م للهجرة الثانية من مخيم اليرموك إلى حي بولاق الدكرور بالقاهرة في مصر، حيث حطّ ذلك الرجل التسعيني فيها رحله، حاملاً ذكريات النكبة، واللجوء في لبنان ودمشق، ثم الأحداث الدامية في سورية، وأقام في مصر ١٠ سنوات، ثم توفي عصر الأحد ٥ رجب ١٤٤٣، يوافقه ٢٠٢٢م، في شقته ببولاق، وصُلي عليه بعد ظهر الاثنين في مسجد الحي، ودُفن في قرية «دكما» في شبين الكوم بمحافظة المنوفية، وقد جاوز التسعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبقي الشيخ محمود ممتعًا بحواسه، وبذاكرته الواعية الحافظة إلى حين وفاته، وأملى ذكرياته على ابنته هدى بمصر قبيل وفاته.

إعداد: حسام بن محمد بن عبد الرحيم سيف الصُّمَيري الدمشقي
(النشرة الأولى: ٩رجب ١٤٤٣)